

أوروبا ومشكلاتها

أربع مشكلات عويصة أصبحت تتحدى أوروبا في ذكائها وعلمها وتاريخها الطويل. والملاحظ انها لا تبدو حتى الآن قادرة على حلها. المشكلة الأولى عضوية، وهي تتعلق بتركيبة نظامها السياسى والبرلمانى المتمثل فى الاتحاد الأوروبى والذى يضم حاليا 26 دولة بعضها غنى جدا وبعضها الآخر متهاك ويقترب من الإفلاس، وقد بدأ ظهرها كله ينكشف عندما لوحث أمريكا برفع الحماية الدفاعية عنها إذا لم تدفع لها المقابل اللازم لتلك الحماية، ثم ها هي دولة قوية مثل بريطانيا تخرج من الاتحاد وتضرب وحدته ومهابته فى مقتل!

المشكلة الثانية تتمثل فى تصاعد تيار اليمين المتطرف الذى يتناقض تماما مع كل ما ظلت أوروبا تنادى به من الانفتاح والتسامح والتفاعل الإيجابى مع مختلف الواضدين إليها من شتى بلاد العالم. ومن المعروف والمقرر أيضا أن أى حضارة لم تنهض على عرق واحد، ولما باضطها د الغرباء المتميزين الذين قد يضيفون إليها أكثر مما يأخذون منها. المشكلة الثالثة التى تتعلق بالسابقة هي مشكلة الهجرة التى اصطلحوا على تسميتها: غير شرعية، والمتى يؤرفهم تواصل مراكبها على شواطئ دولهم. ومن العجيب أنهم لا يريدون أن يدركوا أسبابها البعيدة والمتى كانوا هم أنفسهم وراء وجودها. إن فترة الاستعمار الأوروبى الطويل للعديد من البلاد الإفريقية قد حرمتها من التنمية والتقدم والازدهار، وهو ما جعلها اليوم بلادا طاردة لأبنائها نحو أوروبا.

المشكلة الرابعة: مشكلة الإرهاب الذى راح يضرب فى أماكن حساسة ومختلفة فى المدن الأوربية، وعلى الرغم من أنه يصدر من جهات متطرفة عديدة إلا أنهم يركزون فقط على المتطرفين الإسلاميين، الذين لا تصل أعمالهم — التى يستنكرها سائر المسلمين — إلى نسبة ضئيلة جدا بالمقارنة مع ما يقوم به المتطرفون الأوربيون.

والسؤال الآن: لماذا لا تقوم أوروبا بمواجهة هذه المشكلات المضاعفة على شعوبها مواجهة صريحة، والمصراحة تعنى الأخذ بالمنهج العلمى، وليس الأسلوب الدعائى أو الإعلامى الموجه. كما يعنى تفكيك المشكلة — كما يقول الفيلسوف الفرنسى ديكارث — إلى أبسط عناصرها، حتى يمكن حلها. وأنا أضيف هنا أنه من الضرورى مشاركة كل الدول المعنية بوجود تلك المشكلات وفى مقدمتها الدول الإفريقية. وأرجو ألا يسرع البعض فيقترح عقد مؤتمر. فقد ثبت أن المؤتمرات لا تخرج منها نتائج قابلة للتنفيذ، وإنما الأجدى إنشاء مراكز بحثية متخصصة تقوم بالدراسة والتحليل ثم استخلاص النتائج التى تقدمها للمسؤولين. والله ولى التوفيق.